

الحلقة الثانية والستون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تحدثت عن ضرورة عدم معايشة رفقاء السوء. وأن يحترم الشاب والديه ويطيعهم. ثم حذر الحكيم الشاب من نتائج الانزلاق وراء الزانية، والتي وصفها بالهوة العميقة والحفرة الضيقة. ودعا لكي يعطي قلبه لله ويلاحظ طريقه.

مستمعي الكريم، على أي أساس يجب أن يبني الإنسان بيته أو عائلته؟ هل على أساس المال والمقتنيات؟ أم على أساس العلاقات الاجتماعية؟ أجابنا الحكيم عن هذا السؤال الهام بهذا المثل: "بالحكمة يُبنى البيت وبالفهم يثبّت، وبالمعرفة تمتلئ المخادع من كل ثروة كريمة ونفيسة." (أمثال ٣:٢٤ و٤) إن المال الوفير لوحده لا يستطيع أن يبني البيت أو العائلة على أساس سليم. لا بل في أحيان كثيرة قد يتسبب في خراب العائلة وفساد الأولاد. وكذلك المقتنيات الكثيرة لا تستطيع أن تكون الأساس في بناء العائلة. لأن المقتنيات وملء البيت بالأثاث الكبير الجميل لا يعني شيئاً، وكذا العلاقات الإجتماعية.

لهذا دعانا الحكيم لكي نبني البيت على أساس الحكمة، الحكمة التي تستطيع أن تكون هي القائدة في تسيير شؤون العائلة، والسائدة في العلاقات بين أفرادها. فعندما يُبنى البيت على أساس الحكمة تنتفي الكثير من السلبيات، وتنتقل العائلة من نجاح إلى نجاح، ويحل الوئام بين ثناياها. وكذلك دعانا الحكيم لكي نثبّت أو نرسخ البيت بالفهم. أي الفهم الصحيح لشؤون الحياة والمجتمع. فالفهم هو من الأمور الهامة التي تثبّت العائلة على أساس صحيح. وعندما تجتمع الحكمة مع الفهم نكون قد بنينا بيتاً وثبتناه على أساس سليم وصحيح. ولهذا انتقل الحكيم للحديث عن المعرفة الحقّة، وكيف أن هذه المعرفة هي التي تملأ البيت بالثروة الكريمة والنفيسة. أجل إن ثروة البيت ليست المقتنيات والأموال أو المال الوفير، لكنها المعرفة الحقّة التي تستطيع أن تُغني البيت بالفضائل الجيدة، والخصال الحميدة.

صديقي المستمع، هناك مزايا عديدة يحصل عليها الرجل الذي يأخذ الحكمة والمعرفة. كتب الحكيم قائلاً: "الرجل الحكيم يتمتع بالعزة، وذو المعرفة يزداد قوة. لأنك بحسن التدبير تخوض حربك، وبكثرة المشيرين يكون الخلاص. الحكمة أسمى من أن يدركها الجاهل. وفي ساحة المدينة لا يفتح فاه." (أمثال ٢٤: ٥-٧) إن الحصول على الحكمة يجعل المرء يتمتع بالعزة والكرامة. وهذا أمر طبيعي، لأن الحكمة ستحصن الإنسان وترفع من شأنه أمام الآخرين. وكذلك المعرفة تزيد من قوته وتأثيره على عائلته وعلى المجتمع، لأن المعرفة الحقة بحد ذاتها سلاح قوي. وعندما يحصل الإنسان على الحكمة والمعرفة يستطيع أن يدبر أمور حياته، ويواجه الأخطار المحيطة به. لهذا قال الحكيم هنا أنه يصبح عنده حسن التدبير الذي يخوض فيه حربه وينتصر. وفي المقابل إن هذه الحكمة أسمى من أن يدركها الجاهل، ولهذا لن يقدر على فتح فاه أمام الناس.

وفي مثل آخر وصف الحكيم معرفة الحكمة بالعسل الطيب والحلو، إذ كتب قائلاً: "يا ابني كل عسلاً لأنه طيب وقطر العسل حلو في حنك. كذلك معرفة الحكمة لنفسك. إذا وجدتها فلا بد من ثواب ورجاؤك لا يخيب." (أمثال ٢٤: ١٣ و ١٤) فكما أن مذاق العسل طيب في الفم وحلو للحنك، هكذا معرفة الحكمة تكون بالنسبة إلى الذي يحصل عليها. لأنه عندما يجدها لا بد أن ينال الثواب أي البركة والمجازاة العظيمة. وبتعبير آخر ينجح في كل ما يقوم به. وفي نفس الوقت لن يخيب رجاءه أي أمله.

أين تكمن الحكمة يا صديقي؟ وكيف بإمكاننا الحصول على المعرفة الحقة؟ كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: "وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله..". ثم أضاف: "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء." (١كورنثوس ١: ٢٤، ٣٠) لقد كشف الرسول بولس للمؤمنين بالمسيح من خلفيات متعددة، أنهم بالمسيح نالوا قوة الله وحكمته. ثم أعلن لهم أن المسيح صار بالنسبة لهم حكمة من الله. وفي مكان آخر كتب الرسول بولس قائلاً: "المسيح المنخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم." (كولوسي ٢: ٣) أي أن المسيح هو مصدر الحكمة والمعرفة.

إن المخلص المسيح إذن هو الحكمة الذي تجسد، ولهذا أصبح هو مصدر الحكمة، ومنه نستمد المعرفة الحقة. لعل السؤال الآن هو: كيف بإمكاننا الحصول على هذه الحكمة وهذه المعرفة الحقة؟ إن الجواب هو في الآيتين التي سجلهما لنا الرسول بولس، فهو تحدّث عن المدعوين أي الذين آمنوا بالمسيح. إن المدعوين إذن هم كل من آمن بالمخلص المسيح، فاستمدوا منه الحكمة والمعرفة. ويستطيع اليوم أي شخص يأتي إلى الله تائباً عن ذنوبه، ومؤمناً بالمخلص المسيح أن يحصل على الحكمة والمعرفة. وهكذا تصبح الحكمة هي الأساس الذي يُبنى عليه البيت، وتغدو المعرفة المنهج السليم الذي يسلك فيه.

وكان سليمان الحكيم في فصل سابق من سفر الأمثال قد امتدح الإنسان الذي يجد الحكمة والفهم. فكتب قائلاً: "طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم. لأن تجارتها خيرٌ من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص. هي أثن من اللآلئ وكل جواهرها لا تساويها." ثم تحدّث عن بركات الحكمة ونتائجها في حياة الإنسان، فقال: "في يمينها طول أيام وفي يسارها الغنى والمجد. طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام. هي شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط. الرب بالحكمة أسس الأرض. أثبت السموات بالفهم." (أمثال ٣: ١٣ - ١٩) أجل، إن الحكمة بحد ذاتها خيرٌ من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص، وهي أثن من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها. أما بركات ونتائج الحصول على الحكمة فهي هامة وعديدة. كما تحدّث عنها الحكيم هنا، إذ من خلالها يتأكد النجاح، ويعم السلام والوئام البيت.

ألا ترغب متسمعي أن تكون الحكمة هي الأساس الذي تبني عليه بيتك؟ وأن يمتلئ بيتك بالمعرفة التي هي الثروة الحقيقية؟ لم لا تؤمن بالمخلص المسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم. وهكذا تتال الحكمة والفهم، ويصبح المسيح هو الحكمة الذي تبني عليه حياتك وبيتك!